الذراع الذابلة

للشاعر الانجليزى توماس هاردى

بقلم نظمى خليل

غص الطريق بطوائف القرويات وهن راجعات إلى منازلهن الريفية الصغيرة يتجاذبن شتى الأحاديث مما يتصل بحياتهن الزوجية ، حتى إذا ما دنون من نهاية الطريق همست إحداهن بصوت خافض كأنه خارج من جوف بقرتها :

— « ألا خبرانى ، أيقترن السيد « لوج » بزوجه الجديدة غداً ؟

— لقد بلغنى هذا

— ألم تريها ؟ إنهم يقولون إنها فتاة ضئيلة الجسم موردة الخدين — قالت هذا ثم التفتت إلى بقرتها وهى تضرب بذيلها فيكاد يصافح وجهها

— فأجابتها إحدى صاحباتها : « إنها تصغره بسنوات . أتعرفين كم يبلغ من العمر الآن ؟

— حوالى الثلاثين

ثم تفرقن إلى منازلهن ، وفى الصباح التالى نادت « رودا » زوج السيد « لوج » القديمة ابنها وقالت له : « لقد بلغنى أن والدك سيتزوج من زوجه الشابة اليوم — إنى أريدك الآن أن تذهب إلى السوق حيث يمكنك أن تراها . فقال لها الابن : أعازم أبى على الزواج إذن ؟

فأجابته أمه : نعم . . . يمكنك أن تراها وأن تحدثنى عن بعض قسمات وجهها

— أجل يا أمى

— إمض بنى وخبرنى إذا كانت سمراء أو بيضاء ، طويلة مثلى أو قصيرة ، وإذا كانت تظهر ربة بيت أو فتاة ناعمة الأظافر لم تعتد بعد حياة المنزل

فانطلق الابن إلى السوق ، ولم يكد يبعد عن منزله حتى رأى والده يسير وبجانبه فتاة تصغره بسنوات . كان وجهها صافياً صبوحاً كأنه نور منبعث بين خمائل الورد . فسدد الولد إليها بصره بالرغم مما كان ينوء به ظهره ؛ وكانت الشمس قد غمرت وجه تلك الفتاة فبرزت ملامحه قوية جذابة

فاغتاظت الزوجة الشابة « جرترود » من ذلك الصبى الذى يحدجها بنظراته القوية الطويلة فقالت لزوجها :

— أنظر إلى ذلك الصبى الفقير كيف يحدجنى بالنظر !

— أجل ، قد يكون أحد سكان تلك القرية

— أظنه يعرفنا

— أجل ، يجب أن تتوقعى مثل هذه النظرات فى مثل هذا الموقف الجديد

والآن — هيا ، لم يبق على منزلنا إلا ميل واحد علنا نبلغه قبل أن يهجم الليل

أما الولد فلم يكد يصل إلى المنزل حتى ابتدرته أمه قائلة :

— ألم ترها ؟

— بلى ، رأيتها

— أهى سيدة تماماً ؟

— نعم ، إنها مكتملة الشباب وفى عينيها بريق المرأة الناضجة

— طبعاً ، وما لون شعرها ووجهها ؟

— إن شعرها كضوء النهار ووجهها كدمية الصبية

— إذن عيناها ليستا سوداوين كعينى

— لا . إنهما تميلان إلى الزرقة وفمها صغير جميل بشفتين رقيقتين تنفرجان عن ابتسامة حلوة وأسنان مفضضة لامعة

— وهل هى طويلة ؟

— لم أر طولها ، لقد كانت جالسة

— إذاً عليك أن تذهب إلى الكنيسة غداً فستجدها هناك . إذهب وراقبها فى مشيتها وأخبرنى إذا كانت أطول منى

— حسن ياأماه ، ولكن لماذا لا تذهبين أنت وتريها بنفسك ؟

— بنفسى ! إنى لن أسمح لنفسى أن أنظر إليها ولو كانت تسير تحت هذه النافذة . لقد كانت مع السيد لوج طبعاً فماذا قال أو فعل ؟

— لم يأت شيئاً جديداً

وفى اليوم التالى ألبست الأم ابنها ثوباً نظيفاً وأرسلته إلى الكنيسة ؛ فكان أول من وصل إليها وجلس فى أحد المقاعد الأمامية ، وأخذ يراقب جموع الوافدين ، وأخيراً جاء لوج ومعه زوجه الشابة وهى تتعثر فى مشيتها حياءً وخجلاً كما تفعل كل فتاة فى سنها تظهر فى المجتمع لأول مرة ، ولكنها لم تتنبه إلى نظرات ذلك الصبى هذه المرة لأن جميع الأعين كانت ترمقها

ولم يكد الصبى يستقر فى منزله حتى بادرته أمه قائلة :

« إيه ! حسن »

فأجابها ابنها إنها ليست طويلة بل قصيرة

فتنهدت أمه فقد شعرت بشىء من الارتياح

ثم استأنف الولد كلامه فقال : ولكنها جميلة جداً ، جداً يا أمى ، بل هى فاتنة . والواقع أن جمال هذه الفتاة قد ملك زمام قلب ذلك الصبى الناشىء .

فأجابته أمه : كفى . كفى . هذا كل ما أريد أن أسمعه . هيا إلى المائدة . مد عليها الخوان . إن الأرنب الذى اصطدته طرىّ شهى ، ولكن احذر أن يصطادك أحد

ولكنك لم تخبرنى ما نوع يديها

— لم أرها فقد كانت لابسة قفازها

— ماذا كانت تلبس هذا الصباح ؟

— لقد رأيتها فى ثوب أبيض هفهاف تعبث به نسمات الريح كلما هبت فتمسكه بيديها مخافة أن يتطاير عن بدنها . أما والدى فقد كانت تعلو وجهه ابتسامة الرضى ويتبختر فى سيره كأنه أحد النبلاء

ثم توالت زيارات الصبى لهذين الزوجين كلما شعرت أمه بالحاجة إلى أوصاف جديدة لهذه الزوجة الشابة ، ثم أخذت تكوّن من هذه الأوصاف صورة ذهنية لتلك الفتاة التى لم ترها بعينها

خلت الأم ذات مساء إلى نفسها ، وقد أوى ابنها إلى فراشه وبقيت هى وحيدة تتقلب فى فراشها تطلب النوم فيتأبى عليها ، ثم أخذت تستجمع فى مخيلتها هذه الأوصاف التى سمعتها من ابنها حتى غابت فى نومها فلاح لها شبح تلك الفتاة يحوّم أمام عينيها وقد ارتدت ثوبها الأبيض الهفهاف

ولكن وجهها كان قد عبثت به التجاعيد فبدت كأنها عجوز ، ثم شعرت أنها قد جثمت فوق صدرها كأنها كابوس ثقيل ، ثم أخذ ذلك الحمل يزداد شيئاً فشيئاً حتى كاد يكظم أنفاسها فهبت من نومها واستجمعت قواها ودفعت ذلك الشبح عن نفسها وهى تصيح : « يا إلهى السماء ... » ثم جلست على حافة سريرها والعرق البارد يتساقط من جبينها : لم يكن هذا حلماً بل كانت هى بعينها ، لقد لمست ذراع غريمتها وهى تدفعها عن نفسها . لمست الذراع بلحمها وعظمها — كما توهمت ذلك — ثم نظرت إلى الباب فلم تر شيئاً

لم تذق النوم فى تلك الليلة ، فلما جاء الصباح كان وجهها شاحباً كوجوه الموتى ، وكان جسمها يهتز كأنه القصبة المرضوضة ، فلم تقوَ على حلب اللبن إذ كان ينصب بعيداً عن المحلب ؛ فقد كانت لا تزال تشعر أنها ممسكة بذراع غريمتها . فلما رأى ابنها منها ذلك قال : « ماذا حدث لك يا أماه الليلة الماضية ؟ لقد سقطت عن سريرك لا شك »

— هل سمعت وقع جسم ؟ ومتى ؟

— حوالى الساعة الثانية

ثم صمتت الأم وأخذت تتناول طعامها فى تراخ وكسل ؛ ولم يبرح الابن المنزل ذلك اليوم بل بقى فيه يعاون أمه فى عملها . وفى الساعة الحادية عشرة جاءتها امرأة لم تكد تنظر إليها حتى تذكرت ذلك الشبح الذى ظهر لها فى حلمها الليلة الماضية ، ولكنها لم تر فى وجهها تلك التجاعيد والخشونة التى رأتها فى حلمها ؛ فقد كان صوتها حلواً رقيقاً ، وإشاراتها لطيفة بالغة ، وابتساماتها لذيذة وديعة ، حتى لم تعد تصدق حواسها . لقد جاءت « جرترود » الزوجة الشابة تزور صاحبتها حاملة إلى الصبى حذاءً جيداً وبعض اللعب

ثم أخذت تتردد على المنزل من يوم إلى آخر حتى أنست كل واحدة الى صاحبتها . وفى ذات يوم جاءت « جرترود » وقد امتقع لونها واستولى عليها الهزال والسأم ، فسألتها « رودا » عن علتها ، فأجابتها : « إنى أشكو مرضاً حيرنى وأعيانى وإن لم يكن ذا خطر ، ثم كشفت عن ذراعها اليسرى فنظرت إليها « رودا » وسرعان ما تذكرت تلك الذراع التى أمسكت بها فى حلمها ، ثم توهمت أنها ترى فيها آثار قبضتها وما تركته أصابعها الأربعة عليها فسألتها : كيف حدث هذا ؟ فأجابتها « جرترود » وهى تهز رأسها : « لا أدرى ؛ ولكن حدث أن كنت نائمة فرأيت فى حلمى أنى انتقلت الى مكان غريب وفجأة شعرت بألم ينتاب ذراعى فاستيقظت وأخبرت زوجى بالأمر فهونه على وقال إنه سيزول عما قليل »

— منذ كم حدث هذا ؟

— منذ أسبوعين فى الساعة الثانية

لقد كانت هى الليلة والساعة التى رأت فيها « رودا » ذلك الشبح ، فشعرت أنها آثمة مجرمة . وسرعان ما هجمت عليها تلك الأفكار القديمة ولاح أمامها شبح ذلك الحلم كما لو كان قد حدث بالأمس ؛ ثم قالت فى نفسها بعد أن ودعت صاحبتها : « أوه ! أيمكن أن يكون هذا ؟ أيمكن أن أتسلط على غيرى وأسبب لهم اضراراً على غير إرادتى ؟ ثم مضت تفكر فى شتى الحلول

تتابعت الأيام وذراع « جرترود » تزداد ذبولاً وجفافاً وشكوك الاثم تزداد يقيناً حتى لقيتها أخيراً وقالت لها : « أرجو أن تكون ذراعك قد صحت تماماً » فأجابتها « جرترود » : « لا ، إنها تزداد سوءاً على سوء ، فقد اشتد بى المرض حتى لا أقوى الآن على احتماله »

— يجدر بك أن تذهبى الى طبيب

— لقد صحبنى زوجى الى أحد الأطباء ولكن الطبيب لم يستطع أن يعرف علة مرضى بل نصحنى أن أضع ذراعى فى ماء ساخن ، فعملت كما أمرنى ولكن هذا لم يفدنى شيئاً

— أتسمحين أن أراه ؟ فكشفت عن ذراعها وأشارت الى موضع الألم وكان هذا فوق المعصم . فلما رأت « رودا » ذلك لم تستطع أن تحبس عواطفها . لم يكن هناك أثر لجرح بل كان هناك آثار الأصابع الأربعة ، الأول تجاه المعصم والرابع تجاه المرفق

— يلوح لى أن هذا من قبضة يد ، فانى أرى آثار أصابع هنا ، فاجابتها « جرترود » فى ابتسامة ضيقة ضعيفة : « إن زوجى يقول ان أحد الشياطين هو الذى فعل هذا » فانتفضت « رودا » انتفاضة عنيفة وقالت : « إن هذا وهم ، ولو كنت مكانك لما صدقت » فأجابتها « جرترود » فى شىء من التردد : « انى لا أهتم كثيراً بهذا لو لم يكن بى ماينفر زوجى منى أو يضعف من حبه لى . إن الرجال يقيمون وزناً كبيراً للمظهر الخارجى »

— أجل ولكن زوجك لا يحب سواك

— نعم كان هذا فى أول الأمر إذ كان مخموراً بى ؛ أما الآن . . .

— يمكنك أن تستريه عن نظره

— آه ! ولكنه يعرف مكان التشويه — قالت هذا وهى تحاول حبس الدموع التى ملأت عينيها

— أدعو لك بالشفاء من هذه العلة قريباً

ثم انصرفت « جرترود » وخلت « رودا » الى نفسها وقد انثالت الأفكار على خاطرها حتى أصبح عقلها هدفاً لتلك الوساوس التى جرها عليها ذلك الحلم البغيض ، وقوى عندها ذلك الشعور بالاثم حتى أخذت تؤنب نفسها على ما ظنت أنها جلبته على هذه الفتاة المسكينة بسوء نيتها إذ لم تكن تبغى أن تسبب لها ألماً جسمياً ، ثم أخذت تفكر فيما تظنه تلك الزوجة لو علمت بأمر ذلك الحلم ، ثم رأت أنها إذا كتمت عنها ذلك الأمر كان هذا خيانة أخرى منها

أخذت تفكر فى هذا طول الليل حتى إذا ما جاء الصباح خرجت لترى زميلتها وقد شعرت بحاجة قوية الى هذا اللقاء ، فلم تكد تدنو من المنزل حتى خرجت إليها « جرترود » وحيتها تحية الصباح فقالت « رودا » : « أود أن تكون ذراعك . . .

— لقد قيل لى إنه ليس هناك إلا طريق واحد أعرف به علة هذا المرض ، وقد أعرف الدواء أيضاً ، وهى أن أذهب الى ساحر يقيم فى الاقليم المجاور لنا ، ولكننا لا نعرف إن كان حياً أو ميتاً ، ولا أذكر الآن اسمه ، ولكنى سمعت أنك تعرفين عنه الكثير . إنى أحاول أن أتذكر اسمه . فقالت صاحبتها وقد امتقع لونها : « أليس اسم الساحر « ترندل »

— آه نعم هو بعينه . أهو حى ؟

— أظن هذا

— ولكن لماذا يدعونه ساحراً ؟

— لأن له السلطان على من حوله من الناس

— ما أسخف عقول هؤلاء الناس الذين يعتقدون فى مثل هذه الخرافات . لقد ظننت أنهم يعنون عالماً طبياً . سوف لا أفكر فى مثل هذا الرجل ثانية

فشعرت « رودا » بشىء من السكينة والطمأنينة فقد كانت تخشى أن يفضح ذلك الرجل أمرها عند صاحبتها فتنظر إليها كأنها شيطانة فى صورة إنسان ، كانت السبب فى تشويه جمالها والقضاء على سعادتها

لم يمض على هذا يومان حتى جاءت « جرترود »

الى منزل صاحبتها وقالت لها إن ذراعي تزداد سوءاً وأصبح الأمر جد خطير ، حتى فكرت ثانية فى ذلك الرجل الذى حدثوني عنه وإن كنت لا أعتقد فى أمثال هذا الرجل إلا أنى أشعر برغبة فى زيارته الآن . أيبعد عنا كثيراً ؟

— نعم ، هو على مسافة خمسة أميال

— حسن سأمضى إليه — ألا تصحبيننى لتدليني على الطريق ؟

فتمتمت « رودا » قائلة : « لست أنا » ثم أخذ الخوف يعاودها من جديد خشية أن ينكشف أمر حلمها فتفقد صداقة صاحبتها ، ولكنها لم تجد طريقاً للاعتذار واتفقتا أخيراً على أن يتقابلا عند نهاية الطريق حتى لا يراهما أحد

استيقظت « رودا » فى اليوم التالى وأخذت تفكر فى شتى الحلول التى تخلصها من هذا المأزق ، ولكنها لم تجد بداً من الذهاب ، فتوجهت إلى المكان المعين حيث قابلت صديقتها ، وقد أخفت ذراعها فى مئزرها ثم مضتا فى سيرهما لا تتحدثان إلا قليلاً

لقد كان طريقاً طويلاً مقفراً ، وقد امتلأ الجو بالسحب فحجبت الشمس ، وأخذت الرياح تعول وتصفر وهى تهب فوق التلال ثم تهوى إلى بطن الوادى

أما « جرترود » فقد كانت كلما فتحت موضوعاً للحديث ردت عليها صاحبتها فى إجابات مقتضبة محاولة إقفاله ؛ وكانت تشعر كلما تقدمت فى الطريق أن شيئاً ثقيلاً يجثم على صدرها حتى كرهت أن تسير بجانب الذراع المريضة أو أن تدنو منها . وأخيراً جاءتا الى الرجل ، فحيا « رودا » وقصت عليه « جرترود » قصة ذراعها ، فقال لها الرجل : ان الطب عاجز عن شفائك ؛ فان هذا من تدبير عدو . فارتوت « رودا » فى نفسها وتراجعت الى الوراء أما « جرترود » فقد صاحت : « أى عدو ! » فهز الرجل رأسه وقال : « انك تعرفينه جيداً ، ولو أردت لأريتك اياه وإن كنت أنا نفسى لا أعرفه . فلما ألحت عليه « جرترود » أن يخبرها من هو أشار الرجل الى رودا بالبقاء فى مكانها ، ثم قاد جرترود الى غرفة صغيرة وأجرى أمامها عمليته السحرية فأحضر كوباً وملأه ماء وجاء ببيضة وكسرها على حافة الكوب فنزل الزلال فى الكوب وبقى المح ، ثم حمل الكوب الى النافذة وأمر المرأة أن تنظر فيها ولكنها لم تستطع أن تتبين ذلك الوجه الذى خيل إليها أنها تراه فى الكوب . فلما خرجت كان وجهها أشد امتقاعا ، ثم عادتا الى القرية وقد شعرت رودا أن صاحبتها قد تغيرت

فعند ما سألتها عما رأت أجابتها فى شىء من التحفظ والحرج : « لاشىء يستحق الذكر » ثم علا وجهها شحوب غريب حتى أصبح شبيها بذلك الوجه الذى رأته رودا فى نومها . وبعد صمت طويل قالت جرترود :

أكنت أنت أول من فكر فى هذا الساحر ؟ عجباً لو كان هذا ...

— لا . ولكنى لست آسفة على مجيئنا الى هنا . إن كل شىء مقدر مكتوب

ثم سارتا فى الطريق دون أن تتحدثا كثيراً وقبل أن تفترقا قالت جرترود « ان الناس يتهامسون بأن علة مرضى سببها نظراتك الى . فامتقع وجه المرأة وغابت فى تفكير عميق

ولم يأت الربيع حتى كانت « رودا » وابنها

قد تركا القرية . . . .

عاشت جرترود مع زوجها ستة أعوام كانت حالتها تزداد سوءاً على سوء ، فغاض الابتسام والاشراق من جبينها ونضب الجمال من وجهها وأصبحت الذراع المشوهة مصدر قلقها وتعسها ، وفوق هذا لم تعقب من زوجها ولداً وما كان أحوجه إلى ابن يحيا فى اسمه ويرث أرضه

لم تقعد الزوجة لحظة عن السعى فى علاج ذراعها وذهبت النصائح والأوصاف الطبية فى غير جدوى ولم تجد عليها الرقى والتعاويذ شيئاً

ولكن الحنين إلى الولد كان يشتد بالرجل يوماً بعد يوم حتى لم يستطع أن يغالبه ، فجاء إلى زوجه يوماً وقال : لقد فكرت أن أتبنى ولداً ولكن الوقت قد فات فقد مضى الولد ، ولا أعرف مكانه الآن — فأدركت الزوجة الغرض الذى يرمى إليه فان قصة الزوجة الأولى « رودا » لم تكن قد غابت عن ذهنها وإن لم يتحدث أحدهما إلى الآخر عنها

كانت فى الخامسة والعشرين ولكنها كانت تبدو فوق هذه السن بكثير . فقد قضت ستة أعوام كانت كلها مجدبة ثقيلة لم تذق فيها الحب إلا شهرين . وكثيراً ما كانت تخلو إلى نفسها وتستعيد أيامها الماضية ، فتهجم عليها ذكريات مرضها فتثور وتئن ثم تتأوه قائلة : « آه لو عادت إلى أيام حبى الأول » ثم أرادت أن ترمى بآخر سهامها للشفاء من هذا الداء العياء ، فانطلقت إلى الساحر القديم ، ولم تكن قد زارته منذ ست سنوات ، فلم يكد الرجل يراها حتى تذكرها ، فذكرت له المرأة التجارب التى عملتها فهز الرجل رأسه وقال إن معظم هذه الأشياء لا تنفع — ليس هناك إلا طريق واحد ، ولكن صعب تحقيقه . وهو أن تطوق بذراعك المشوهة عنق أحد المشنوقين . فارتاعت المرأة لتلك الصورة التى رسمها فى ذهنها هذه الكلمات — ثم مضى الساحر فى كلامه : على أن يكون هذا عقب إنزاله من المشنقة مباشرة

فسألته الزوجة : « ولكن ما فائدة هذا ؟ »

فأجابها الرجل : إن هذا يزيد فى دورة الدم . عليك أن تذهبى إلى أحد السجون وتترقبى إحدى ضحاياه . لقد طالما أرسلت إلى السجن عشرات النساء اللواتى جئن إلى يشكون بعض هذه الأعراض . ثم ودعته المرأة وانصرفت وقد أبى أن يأخذ منها أجراً

عادت المرأة إلى منزلها وهى تشك فى كلام الساحر ولكنها بعد أن يئست من الشفاء اندفعت بأمل إعادة حبها المفقود بشفاء ذراعها إلى تحقيق فكرة ذلك الساحر وقد تذكرت كلماته لها : « إن ما يأتى بالرقى يذهب بالرقى أيضاً . » فقضت مدة طويلة وهى لا تفكر إلا فى المشنوقين حتى أن صلاتها لم تكن إلا بعض هذه الكلمات : « اللهم اشنق لى أحد الأشقياء أو أحد الأبرياء !! » لم ترد أن تستعين بزوجها فقد كان يضيق بأفاعيل السحر ولا يؤمن بأعمال الشعوذة

ثم جاءها يوما يخبرها بعزمه على تركها يومين لقضاء أمور خاصة به ، ففرحت الزوجة لهذا الغياب إذ وجدت فيه فرصة لتحقيق غايتها . فلم يكد يغيب عنها حتى امتطت جواداً مطهما أخذ يطوى بها الأرض حتى وصلت أخيراً إلى السجن المقصود حيث تجد فيه ضحيتها التى ارتبطت سعادتها بنهايته ، ثم ذهبت إلى الجلاد تسأله عن تلك الضحية ، فظنها الجلاد إحدى قريبات الفتى المسكين أو سيدته . فقال : إنه صبى لم يتجاوز الثامنة عشرة قد ساقه القدر إلينا عند ارتكاب الجريمة . ولم نجد غيره

تتهمه . فأجابته المرأة : لست أسأل عن هذا بل أريد أن أعرف موعد التنفيذ . فقال الجلاد : فى الساعة الثانية عشرة كالعادة ، أى بمجرد وصول البريد من لندن فقد يكون هناك عفو . فارتاعت المرأة وصاحت : عفو ؟ إنى لاأود هذا ، فسألها الرجل : « ماذا تريدين ؟ »

فقالت : أريد أن ألمسه لأنه أحد الطلاسم التى كانت السبب فى تشويه ذراعى وهدم سعادتى . وقد أشار علىّ بهذا أحد السحرة . فقال الجلاد : أوه . نعم ، نعم . لقد أدركت غرضك الآن . كثيراً من النساء يأتين إلىّ لمثل هـذا الغرض . ثم تشكين ؟

فكشفت له المرأة عن ذراعها

فأخبرها الرجل أن تذهب إلى محافظ السجن وأن تصطحب معها طبيباً ثم تقدم اسمها وعنوانها . فقالت له : ولكنى لا أريد أن يعلم أحد بهذا

— أتعنين حبيبك ؟

— لا . بل زوجى

— حسن . سأمهد لك الطريق

— ولكن أين هو الآن ؟

— إنه لا يزال حياً فى داخل هذا السجن . ثم رسم الطريق الذى تسلكه ، فانصرفت شاكرة . وفى الساعة الثانية عشرة من اليوم التالى كانت المرأة جالسة فى إحدى غرف السجن تنتظر تنفيذ الاعدام فى المتهم الشاب

ثم قرئ الحكم وسيق المتهم إلى المشنقة

وفى تلك اللحظة دخلت المرأة بسرعة وقد حسرت عن ذراعها المريضة ، ثم انحنت على الصندوق الذى كان فيه المشنوق ، ولكنها لم تكد تراه حتى خارت قواها وكادت تهوى إلى الأرض فأمسك بها الرجل وهمس فى أذنها قائلاً : « هيا » فاستجمعت المرأة قوتها ومدت ذراعها ، فأخذها الجلاد ورفع الغطاء عن الجثة وطوق بها عنق المسكين ، فشمرت المرأة بهزة عنيفة وأخذ الدم يندفع إلى تلك الذراع المريضة ، ولكنها لم تكد تلتفت وراءها حتى رأت « رودا » وقد احمرت عيناها من البكاء وأرخت شعورها على كتفيها ، وقد وقف بجانبها زوجها « لوج » ساهماً حزيناً ولكن عينيه لاتدمعان ، فقال لها فى صوت غاضب أجش : « ماذا تعملين هنا ؟ » ، ثم صاحت الأم : « رودا » يا لك من شيطانة أتحولين بيننا وبين ابنينا .. إنك لتمثلين حقاً تلك الصورة البشعة التى رأيتها فى حلمى القديم ، ثم جذبتها من ذراعها المارية ودفعتها إلى الحائط ، فوقعت تحت قدمى زوجها ، فلما رفعها زوجها عن الأرض كانت غائبة عن الرشد

لقد كان المشنوق ابن « رودا » قد اتهم ظلماً فى إحدى الجرائم ، ثم جاء إليه والده فى الساعة الأخيرة ليشهد مصيره المحتوم . ولم يرد أن يخبر زوجه جرترود بهذا بل قال لها إنه ذاهب إلى قضاء أمر من أموره الخاصة

حملت الزوجة ولكنها لم تبق إلا ثلاثة أيام حتى فاضت روحها لأن دورة الدم كانت أقوى مما تحتمل

أما الزوج فلم يكد يفرغ من دفن زوجه حتى ترك قريته الى بلدة أخرى حيث مات هناك بعد ذلك بعامين وقد أوصى بمعظم ثروته الى أحد اللاجئ تاركا جزءاً يسيراً منها الى زوجه رودا — إن كانت لا تزال حية — إذ كانت قد اختفت من ذلك الاقليم كله . ولكنها عادت بعد ذلك بسنوات كثيرة وقد ابيض شعرها وتخاذل جسمها ولم يبق فيها إلا جبين مغضن يخفى أعمق الأفكار ، وقلب مكلوم يحمل آلام الذكريات

تظمى ضليل